دقائق الحرب الطوال..

دعوني أخبركم أنك بالحرب سوف تسقط كل التفاهات والكثير من الكماليات ومعظم الضروريات ولا يتبق لك لتفكر به او تهتم به سوي الضروريات جداً جداً جداً على سبيل المثال. لن تهتم بالفيس بوك وقد تجده غير فعال عند أكثر من تسعين بالمائة لا أحد سيهتم من وضع أعجبني أو من لم يعجبه أو عله لا يعجبه وستختفي صورة والده او والدته المريضة المكتوب أسفلها ادعو للوالد. لأن الجثث على جنبات الطرق وقد لا تجد من يدفنها. صور وجبات الطعام الشهي. لا أحد يجرؤ أن يضع صورة واحدة على الفيس بوك والجميع يركضون خلف الطحين والعديد من الناس لم يأكلوا منذ أيام وأصبح حلمهم الحصول على رغيف. وحتى إذا فتحت على الفيس أو إصبعك ضغط عليه بحكم العادة فسوف تم، مرور الكرام أو اللئام حتي أنك لن تكتب لمعظم أصدقائك عظم الله أجركم على بوستات النعي لديهم لأن معظم المنشورات أما موت او إصابات أو الحمد لله نجونا من موت محتم.
أما بالنسبة للتك توك فقد اختفي من غزة وكأنه جريمة يعاقب عليها القانون هو وكل ما يحمل تفاهات وغير التفاهات والتي كانت قليلة جداً، جداً.
تصوروا في غزة اختفت النميمة والحسد والانشغال بالآخرين التي كانت أحد المتع عند الكثير من الناس الكل يجري من الصبح للمساء ليوفر لعائلته طعام يومهم.
سقطت المجاملات والنفاق والادعاءات بات الجميع يشعر أنه قد يموت في أية لحظة ولذلك لا طاقة لديه للمجاملات أو الكذب او الادعاء.
سوف تدرك قيمة الأشياء والتي كانت بين يديك أو تمارسها دون وعي وسوف تكتشف أفعالك البسيطة بأنها كانت قمة المتعة وتتذكرها وتحلم بعودتها مثل أن تقف بالصباح أمام الغاز، وتلف المفتاح وتشعله بضغطة وتشرب قهوتك بهدوء وبجانبها قطعة شوكولاتة. نعم أصبح سعر كيلو القهوة ٧٠ دولار أو ٢٤٠ شيكل إن وجدت، والشكولاتة اختفت من غزة منذ أسابيع، مع الشيبس، والبسكويت، والأندومي، والمكسرات وباقي العائلة من الأشياء اللذيذة. لم يتبقى في المحلات سوى بعض مسحوقات التنظيف.
سوف تكتشف فجأة أن عائلتك قد نسيت كلمة بأحبوش فمثلآ لو قدر لك وتوفر لك بعض المال لتطبخ طنجرة زهرة أو قمبوطة عند البعض سوف يلتهمها الجميع وكأنها ألذ طعام بالعالم. وغني عن الذكر أن تلك الأكلة كانت بالسابق تكلف ٥٠ شيكل اليوم تكلف ١٥٠ شيكل. أما بالنسبة للمقلوبة والمسخن فلا أحد يجرؤ على تذكرها.

أكثر شيء سوف تشتاق له مخدتك وسريرك ستظل تحلم بالعودة لهم وتنام ليلة واحدة دون ضجيج الصواريخ والمدافع وإطلاق النار الذي لا يتوقف.
سوف تشتاق لرؤية السيارات وزحمة المرور التي تلاشت وحل مكانها الحمير والتي بمجرد أن تصعد على الكارة وتقفز للجلوس عليها وتحديدا على الفرش الذي يضعه العربنجي للركاب وغالبا قطعة خيش أو حرام قديم سوف يعلق ببنطالك من الخلف أحد الأمرين إما غبار أو ماء وستنزل برطه أو بقعة على بنطالك من الخلف بحجم قرص عباد الشمس والغريب أنك لن تهتم بتاتا أن تنفض نفسك لأن الجميع يسيرون محملين بنفس القرص من الخلف.
ستتذكر التلفاز والأفلام والمسلسلات وبرامج التوك شو، والمسرحيات وكأنها حلم بعيد ومستوى رفيع من الرفاهية. سوف تحن كثيرا لجلسة السفرة والبانيو وشباك منزلك وجيرانك الطيبين ومشوارك الصباحي سواء الي العمل أو السوق أو مكان كان. ستدرك معني أن يكون لك خزانة وملابس وأحذية وثلاجة. ثلاجة وبها فاكهة.

سوف تتعلم كيف تخبز على فرن الطينة وعلى طعم الخبز الجديد. وبالطريق ستتعلم كيف تصنع ذلك الفرن من الطين والقش وتتفنن بتصميماته المختلفة وأنواعه وأحجامه المتعددة فهناك فرن للخبز وآخر صغير للطبيخ .
ستتعلم كيف تحطب وأنواع الحطب وما الفرق بين خشب الزيتون وخشب البرتقال وأهمية جريد النخيل بالاشتعال وما الفرق بين حطب الطبيخ وحطب الخبز.
سيعود العدس ليتصدر المشهد بصحبة الفول.
ستحلم بالدجاج واللحم والسمك.
ستمر عن أهم الأشياء مرور الكرام ودون انفعال مثل الحديث عن الشهداء. سوف تتحدث مع عائلتك عن استشهاد أبناء عمومتك كأنك تخبر زوجتك أنك خارج للتسوق بدون انفعل.
انفجار يهز المنزل، سأحضن الاطفال. . .

٢٠٢٣/١١/٨
علي ابو ياسين